إضاءة

دُنيز ماسون حياة مع العرب وكِتاب المسلمين

في استضافة النصّ القرآني

رغم وضْعها واحدةً من أكثر ترجمات القرآن شيوعاً في العالَم الفرنكفوني، وتوقيعها كتباً حول الإسلام وعلاقته بباقي الأديان التوحيدية، وكذلك إقامتها لسنوات طويلة في المغرب، ما تزال الباحثة والمترجمة الفرنسية مجهولةً في العالَم العربي

نجم الدين خلف الله

لم يكن ثمة شيءٌ يُؤهّل دُنيز ماسّون، تلك الفتاة المُدلّلة التي نشأتْ في بيتٍ بورجوازيّ، لأن تكون يومًا ما مترجمةً للقرآن، عالمةً بدقائقه، داعيةً إلى الحوار بين الإسلام والمسيحيّة وراعيةً للباحثين في دارتها. فقد وُلدت مطلعَ القرن الماضي، سنة 1901 تحديدًا، بباريس، في عائلة ثريّة، إذ كان والدُها محاميًا مرموقًا يَجمع الآثار الفنيّة، ولعلّه هو مَن أورَثها عشقَ العتاقة. وكانت أمّها عازفة بيانو، تَجوب مُتنزّهات الفنّ ورحابَه. ورغم طفولة رغيدة، أجبرَتْ صِحّةُ الطفلة الهَشّة والدَيْها على نَقلها إلى الجزائر. وكانت مستعمَرةً من فرنسا. لتبدأ دُنيز حياةً جديدة وتتعرّف على هؤلاء «العَرب» وتتعلّم مُحاوراتهم اليوميّة في شوارع العاصمة. إلا أنّ طلاقَ أبوَيْها سنة 1925، وهي في عزّ الشّباب، دَفعها إلى الزُّهد في الدّنيا وانتهاج الحياة الكنسيّة للانْكباب على الكتابات المُقدّسة، فَانعزلت في ديْر لمدّة من الزمن. لكنّها ما لبثتْ أن غادَرَته لتتلقّى تدريبًا في المجال الطبيّ وتتخرَّج ممرّضةً لدى مُنظّمة «الصليب الأحمر»، وكانت وقتها ناشطةً في المُستعمرات. عملت في تونس أوّلاً ثمّ في الرّباط، سنة 1929، حيث تردّدت على المكتَبات العموميّة وأتقنت الدارجة المغربيَّة والعربيّة الفصحى حتى تفوّقت في شهادة «المعهد الأعلى للعلوم الإسلاميّة». وفي تلك الأثناء، تعرّفت إلى أعمال المستشرق الفرنسيّ لوي ماسينيون (1883 - 1962) الذي صار مثَلَها الأعلى، ولا سيّما في دعوته الصادقة لحوار الأديان. واستقرّت نهائيًا في مدينة مرّاكش، من 1938 حتى 1994، تاريخ وفاتها، في «رياض» أنشأت فيه «مركزًا للدّراسات الإسلاميّة»، حيث خاضت غمار البحث العلمي وترجمة النّصوص القديمة، من دون أن تُصبح واحدة من أعلام الاستشراق الفرنسيّ، لعدم حصولها على الدكتوراه، وذلك رغم تمكّنها من آليات البحث والتحرير. وكلّلت أعمالَها تلك بترجمة كاملة للقرآن. ومن الطريف أنّها وقّعتها بالحرف الأول من اسمها الأوّل، D، عوضًا عن Denise، حتى لا يُستنقص منها بدعوى أنها امرأة «تجَرّأت» على القرآن وعلى تَرجمته، وهو ما كان مُستهجنًا في تلك الأيام، حتى لدى النخبة الفرنسيّة المثقّفة.

أما من ناحية المنهج، فقد اعتمَدت ماسون على ترجمتَيْ ريجيس بلاشير (1902-1978) التي صدرت سنة 1949 وأعاد نَشْرها 1957، والعالِم الباكستاني محمد حميد الله (1908-2002)، واجتهدت في تنقيحهما وتَشذيب ما علق بهما من ثقل أسلوبيّ، خاصّةً أنّ كِليهما آثَرَ الوفاءَ المُطلَق لحرفيّة النصّ العربي والفضاء السيميائي للألسن الساميّة، باشتقاقاتها وصورها البيانيّة، مما أدّى إلى نوع من الغموض أحيانًا. وهكذا، كانت ترجَمتها عودة إلى روح النصّ القرآني، جريًا وراء خَصائصه الأدبيّة مع الحرص على نقاء الفرنسيّة المُتَرجم إليها ووضوحها. كما استعانت، وهذا من وفائها، في فَهم بعض الآيات المُعضلة بتفسير «الكشّاف» للزَّمَخشري (1074-1143) و«بأنوار التنزيل» للبَيضاوي (ت. 1286) و«الجَلالَيْن» للسّيوطي والمَحَلّي. كما مَهّدت لعَملها بمقدّمة مُطوّلة، نسبيًّا، أبانَت فيها، بالخصوص، عن مَواطن الالتقاء والاختلاف بين القرآن والتوراة والإنجيل. هذا وقد حرّرت العديدَ من الهوامش والإحالات لتَوضيح مواقع الإشكال في النصّ القرآني ورفْع ما يمكن أن يَحصل فيه من التباس. وقد كان مَثَلها الأعلى في الترجمة عملُ سلفها إدوارد دوهرم (E. Dhorme، وقد عاش بين عامي 1881 و1966) الذي سبق أن تَرجم «العهدَ القديم» إلى لغة موليير، مُراعيًا كلَّ الدقائق الأسلوبيّة. وصَدَر العملان في سلسلة La Pléiade لدى منشورات «غاليمار»، وهي إحدى أكثر سلسلات النشر فخامةً في فرنسا، والتي تعنى بطبع أهمّ الآثار الإنسانيّة في الآداب والفنون.

وقد أقرّت دُنيز ماسون أنَّ ما حَرَّكها لهذا الإنجاز إنما هو احترامها العميق لكتاب المسلمين، ولذلك بذلت جهودًا مُضنية من أجل «إرجاع» روح العبارات القرآنية، بوفاء ووضوحٍ، مع مراعاة طبيعة المفاهيم القرآنية وخَصائص السبك القرآني، وهي في ذلك تتميز عن بعض الترجمات، التي أنجزت بدءاً من القرن الثاني عشر للميلاد، والتي تضمنت أخطاء وتحريفاتٍ، بل وتشويهات مَقصودة بَغيضة.

وفي الحقيقة، يُعدّ هذا العمل تتويجًا لكتابٍ لها سابقٍ وهو: «القرآن والوَحي اليهوديّ والمسيحيّ: دراسات مقارنة» (1958) والذي أعيد نشره بعنوان: «التوحيد القرآني والتوحيد الإنجيليّ» (1976)، حيث ترجمت العديد من المقاطع في دراستها المقارنة لمقولات الديانتَيْن. فقد كانت خبيرة بالنصوص المقدسة والعقائد والمبادئ التي تَتأسس عليها الديانات الثلاث، وهذا وجه الأصالة والإضافة في ترجمتها. فالهوامش العديدة التي زخَر بها عملُها والتي أضافتها إلى ترجمة الآيات لتبديد الغموض، تُظهر مدى مَعرفتها العميقة بتفاصيل تاريخ الأديان وتطور العقائد ونقاط الاختلاف والائتلاف بينها. وهذا ما أدّى بها إلى قناعةٍ مفادها أنّه من المستحيل التوفيق بينها نظرًا إلى الفروق الجوهريّة التي تفصلها، ولكنها أيّدت، طيلة حياتها، الحوارَ بينها حتى يَتعرّف المؤمنون على مرجعيات بعضهم البعض. كما تركت أعمالاً علميّة أخرى، منها: «الماء والنار والنور بحسب الإنجيل والقرآن» (1986)، «طُرُق الأوجد الثلاث» (1986)، إلى جانب سيرة ذاتية ماتعة، عنوانها «بابٌ مُشرَع على حديقة مُعلّقةٍ: مراكش» (1989).

تعرّفت إلى أعمال لوِي ماسينيون وصار مثُلها الأعلى

بذلت جهوداً مُضنية من أجل إظهار روح العبارات القرآنية

لقد عاشت دينيز ماسون نصف قرن في مَدينة مرّاكش، وجعلت من دارتهاً (واسمها «الرّياض») ملتقًى لحوار الأديان والحضارات واستقبلت فيها الباحثين من فرنسا والعالم العربي وكانت تحظى باحترامٍ واسعٍ من العلماء والسّاسة، لما أظهرتْه من تقدير للدين الإسلامي ونصّه الرّئيس. وليس اعتراف مؤسسة «الأزهر» بصلاحية ترجمتها للقرآن، بعد مراجعات صُبحي الصّالح لها، إلّا إقرارًا بمجهوداتها في صقل التّرجمات السابقة وتزجية نصّها الفرنسي بحيث يُراعي خصوصيّات النظم القرآني ويُبَسّط رُؤاه ومقولاتِه لجمهورٍ مُعَلْمَنٍ، مثل الجمهور الفرنسي الذي فَقَد كلَّ صلة بالمقدس فَلم يَعد يَعي الكون الرمزيّ للكتب التوحيديّة القديمة.

(كاتب وأكاديمي تونسي مقيم في باريس)

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

دنيز ماسون أمام لوحة «انهيار الجليد» لـ كلود مونيه، عام 1949

اسمٌ في الظلّ

دينيز ماسون كاتبة عَشقت العالم العربيّ، ولا سّيما المغرب، وعاشت فيه، وفي أحيائه الشعبيّة انطفأت روحُها عن عمر ناهز التسعين عاماً. آثرت حياة التحقيق والتنقيب عن حياة الترف، وظلّت مجهولة في العالَم العربي. لا تزال ترجمتها للقرآن الأكثر اعتماداً لدى القرّاء الفرنسيين، منذ صدورها قبل خمسين سنة. ويكفي هذا الفضل وحده حتى يَتعرّف إلى آثارها القارئ العربي، أو يُجتهَد، على الأقلّ، في تَرجمة مقدّمة ترجمتها له.

متابعة

اعتداءات إشهارية على الأغنية والذوق العام في تونس

إهراق الفن في سوق الحليب

موجة استنكار شهدتها تونس أخيراً بسبب اعتماد عدد من الومضات الإشهارية لألحان أغانٍ تراثية، ما رأى فيه كثيرون حالة من التردّي والاستهتار

تونس ـ **ليلى بن صالح**

عرَضت القنوات التلفزيونية التونسية، في الفترة الأخيرة، مجموعة إعلانات دعائية لإحدى العلامات التجارية المسوِّقة للحليب ومشتقّاته، وقد اعتمدت الوصلات الإشهارية ألحانَ عددٍ من الأغنيات الشهيرة في التراث الموسيقي التونسي في القرن العشرين، مثل «بحذا حبيبتي تحلى السهرية»، و«منيّرة يا منيّرة»، مع توظيف كلماتها وتحويرها بحيث تحيل إلى معجم الحليب والبقر.

وقد وُوْجِهتْ هذه الإعلانات بموجة استنكار واستهزاء، لا سيّما على شبكات التواصل الاجتماعي، كما أعلنت «النقابة التونسية للمهن الموسيقية والمهن المجاورة»، في بيان لها أصدرته الأسبوع الماضي، عن استنكارها لما أقدمت عليه شركة Natilait المصنّعة للحليب ومشتقّاته «للتشويه الممنهج ضد الأغنية التونسية والصورة السيئة التي قدّموا بها منتوجهم باستعمال ألحان لأغانٍ تونسية». وطالبت النقابة بسحب الإشهار تقديراً للأغنية التونسية، كما دعت إلى «تقديم اعتذار رسمي للتعدّي الصارخ والذي مسّ كلّ العائلة الفنّيّة التونسية»، بحسب البيان. من جهتها، طالبت «المؤسّسة التونسية لحقوق المؤلف» بـ«التصدّي لمثل هذا التشويه ومعاقبة كل مَن تُسوِّل له نفسه الإقدام على هذا العمل الشنيع»، في إشارة إلى أن الأعمال المعتمدة في الإشهار تسيء لملحّنيها الأصليّين حتى وإن صارت حقوق ملكيّتها الفنية مشاعاً بفعل التقادم.

هذا النوع من الاستنكار تجاه الومضات الإشهارية ليس جديداً في تونس، فكثيرة هي الحملات التي دعت إلى حجب إعلانات (وأيضاً بعض المشاهد من البرامج الترفيهية) بسبب إساءتها إلى رموز البلد، مثل استعمال ابن خلدون للدعاية لماركة بسكويت منذ سنوات، حيث يقترح سيناريو الومضة استراقَ صاحب «المقدّمة» لقضمة بسكويت من طفل يلتجئ إليه. وفي الحقيقة، لا تُدعى الشخصيات التاريخية والأدبية إلى الدعاية للماركات المختلفة من أجل قيمتها الرمزية، بل تُقدَّم في كل مرّة في وضعيات هزليّة، بما يخلق حالة من الغرائبية. ويعتقد مطلقو هذه الومضات أنّها تشدّ انتباه المتفرّج وتخدم الأهداف التسويقية، في حين أن النتيجة تأتي عكسيّةً في أغلب الأوقات.

تشير هذه الظاهرة إلى استسهالٍ يحكم اختياراتِ فئةٍ من مصمّمي الإعلانات، لعلّها الأوسع بينهم، ومن ورائهم الشركات التي يقدّمون خدماتهم لها. ناهيك عن فقرٍ في القدرة على تطوير ما هو طريف بعيداً عن السخرية الخفيفة. لكنّ هذه الظاهرة ينبغي أن تُوضع في سياق أوسع، وهو تعميم التافه والسهل والفاقد للعمق، والبحث على كل الإنتاج الإعلامي. نجد تجلّي ذلك في البرامج الحوارية وفي السلاسل الكوميدية وحتّى في الأفلام والمسرحيات.

قلّما يُنظَر إلى قطاع الإعلانات كمجالٍ إبداعي، على الرغم من حاجته إلى كثيرٍ من الروح الفنّيّة، ودوره في التأثير بأذواق الناس وفي سلوكياتهم. هناك استهانة عامة بكلّ شيء، حتّى أن الشركات التي تدفع المال للترويج لمنتوجاتها قد لا تنتبه إلى أن بعض الومضات الإعلانية تسيء لها أكثر ممّا تنفعها. ألا يأتي ذلك مصداقاً للقول التراثي العربي: يفعل الجهل بنفسه ما لا يفعله به عدوُّه؟

تستند الحملات ضدّ عدد من الإعلانات إلى كونها تسيء لرموز تونس

منى باسيلي صحناوي، ألوان زيتية على قماش

كاتب من العالم

أريد أن أُورّث أطفالي عالماً بلا تأشيرات سفر

براجوال باراجولي

تقف هذه الزاوية مع كاتب من العالم في أسئلة حول مشاغله وما يود مشاطرته مع قرّائه. «أكتب لأسرد حكاية فحسب»، يقول الكاتب الهندي النيبالي

سيكيم (الهند) ـ **العربي الجديد**

■ كيف تقدّم المشهد الأدبي في بلدك لقارئ لا يعرفه؟

المشهدُ الأدبي في الهند مشهدٌ غنيٌّ ونابضٌ بالحياة، ما زال ينمو يوماً بعد يوم، وذلك بفضلِ انتشارِ المهرجانات الأدبية في المنطقة. لذلك فإنّ كلَّ الشروطِ ملائمةٌ اليوم لأن تكون كاتباً في الهند. لكنّ تكميم الأفواه ما زال قائماً على قدم وساق، إذ تتّخِذُ الحكومة إجراءاتٍ صارمة ضدَّ الصحافيين الذين يتحدّثون عن الأوضاع من دون مواربة.

■ كيف تقدّم عملك لقارئ جديد، وبأيّ كتاب لك تنصحه أن يبدأ؟

أرى أنّ روايتي «الأرض التي فررت إليها» (صدرت ترجمتها بالفرنسية تحت عنوان Fuir et revenir «الهرب والعودة») هي الكتاب المناسب لتبدأ به. الرواية عبارة عن حكاية عائلية مثيرة يجتمع فيها الأشقّاء المنتشرون في أصقاع العالم في مسقط رأسي في جبال الهيمالايا بمناسبة عيد ميلاد جدّتهم الرابع والثمانين، وتتوالى الأحداث. لقد قرّرتُ في هذه الرواية أن أدمجَ كلّ المُحرّمات الخاصة بجنوب آسيا والتي تتنوع بين الطبقة الدينية، والطبقة الاجتماعية، والنوع الاجتماعي، والجنس، وذهبتُ في هذه القضايا حتّى النهاية.

■ ما السؤال الذي يشغلك هذه الأيام؟

يشغلُني فيروس كورونا بالطبع. هل جَعَلَنا هذا الوباءُ أكثرَ تعاطُفاً؟ لا أظنُّ ذلك. أعتقد أنّنا أصبحنا أكثرَ أنانيّةً مما كُنّا عليهِ من قبل. هل كُتِبَ علينا أن نعيش دائماً في عالمٍ يكونُ فيه الناسُ «مُختلفينَ وغُرباء»؟

■ ما أكثر ما تحبّه في الثقافة التي تنتمي إليها وما هو أكثر ما تتمنى تغييره فيها؟

أنتمي إلى التراث النيبالي. يعجبني أنّنا شعبٌ بسيطٌ وغير معقّد. الطعام النيبالي مذهلٌ، فهو لا يحتوي على كثيرٍ من الدهون التي تجدُها في مطبخِ شمال الهند. أحبّ اللغة وأحبّ جرَسَها وصوتَها الجميل. وأعشق ثراءَها وغِناها بالمحاكاة الصوتية. أرغبُ أن تتخلّصَ ثقافتي من التمييز الطبقي المُروِّع.

■ لو قيض لك البدء من جديد، أي مسار كنت ستختار؟

أبدأُ من جديد؟ لا أدري. لقد ذهبتُ في السابعة عشرة من عمري للدراسة في أميركا، وكانت نظرتي للعالم ـ لسنواتٍ طويلةٍ ـ قاصرةً على الطريقة الأميركية. أشعرُ بامتنانٍ شديدٍ لتجربتي في الغربِ الأوسط، ذلك الجزء من الولايات المتحِدة الذي لم أكنْ قد تعرّفتُ إليه من قبل، ولو أنّني لم ألتحِق بالدراسة هناك لأنّه قد توجّبَ عليّ لاحقاً السفر إلى أوروبا.

■ ما هو التغيير الذي تنتظره أو تريده في العالم؟

أريدُ أن أُورِّثَ أطفالي عالماً بلا تأشيرة. أعلمُ أنّ هذا الأمر لا يتمتّع بنفسِ أهميةِ المجاعة وسوءِ التغذية وقصفِ المدن، لكنّني أُحبُّ أن نرمي فكرةَ التأشيراتِ خلفَ ظُهورنا.

■ ما هو، في اعتقادك، أكبر خطر على حرية الكاتب والكتابة في العالم اليوم؟

الحكوماتُ في جميع أنحاء العالم التي تتّخِذُ إجراءاتٍ صارمة ضد الكتّاب، وهذه مشكلةٌ كبيرةٌ حقاً.

■ ما هي قضيتك وهل يمكن أن تكون الكتابة قضية بذاتها؟

أكتبُ لغرضٍ أساسيٍّ وهو سردُ حكايةٍ وحسب، ولا شيءَ غير ذلك. إذا تمكّنَتْ كُتُبي من تحقيقِ ذلك فسأكون في قمة السعادة.

■ الأدب العالمي يكتبه المترجمون، إلى أيّ درجة توافق على هذه المقولة، وإلى أيّ درجة كتبك المترجمون؟

المترجمونَ يجعلونَ العالمَ يستمرّ. نحتاج لا ريبَ إلى الترجماتِ لفَهمِ العالمِ على نحوٍ أفضل.

أفكّر وأكتب بالإنكليزية، لكنّني أُصلّي باللغة النيبالية

النص الكامل
على الموقع الالكتروني

بطاقة

ولد براجوال باراجولي (Prajwal Parajuly) عام 1984 لأب هندي وأم نيبالية. رُشّحت مجموعته القصصية الأولى، «ابنة جورخا» (2012)، لـ«جائزة ديلان توماس» في المملكة المتحدة، ووصلت القائمة الطويلة لـ«جائزة القصة القصيرة» في الولايات المتحدة. وصَلَت ترجمة روايته الأولى، «الأرض التي فررتُ إليها» (2013)، التي صدرت بالفرنسية العام الماضي، إلى نهائيات جائزتي «الرواية الأولى» و«جائزة إميل غيميه» في فرنسا لعام 2020. يُدرِّس الكتابة الإبداعية في معهد العلوم السياسية في باريس.

براجوال باراجولي في «مهرجان أكسفورد الأدبي»، في المملكة المتّحدة، 2013 (Getty)

فعاليات

حتى الثامن من الشهر المقبل، يتواصل في غاليري **ليفينغ فور آرت** بالدار البيضاء معرض **التقاليد والحداثة** الذي افتُتح السبت الماضي، بمشاركة تسعة عشر فناناً. من المشاركين فالنتينا دوبروفسكا (أوكرانيا)، وإسماعيل تاملك (توغو)، ومن المغرب عثمان العلوي، ورشيدة شداني، وعبد الرحيم أكديش (اللوحة).

ما بعد نهاية العالم عنوان محاضرة افتراضية يقدّمها الباحث **تي جاي ديموس** عند الثامنة من مساء الثلاثاء المقبل، بتنظيم من **دارة الفنون** بعمّان. يضيء ديموس الممارسات الثقافية التي تقدّم مقترحات جذرية للعيش في عالم تعصف به الأزمات البيئية والسياسية، عبر إعادة التفكير في العلاقات بين الجماليات والإيكولوجيا السياسية التي تتصدر تصورات المستقبل العادل.

يتواصل معرض **لوحات عربية في بيوت كويتية** في **قاعة بوشهري للفنون** حتى نهاية الشهر المقبل، والذي افتتح الأربعاء الماضي. يضمّ المعرض أعمالاً لعدد من الفنانين العرب، منهم فاتح المدرس (اللوحة)، وضياء العزاوي، وأدهم وانلي، وبول غيراغوسيان، وإدوار شهدا، وإياد القاضي، والقذافي الفاخري.

يعقد قسم الدراسات التاريخية في جامعة **ذي نيو سكول** بنيويورك، محاضرة عبر منصة «زوم» عند السادسة من مساء الثلاثاء المقبل بعنوان **مسألة الوقت: العرق والحرية وفلسطين** تلقيها الباحثة الفلسطينية **شيرين صيقلي**، التي تتناول سيرة جدها نعيم قطران (1876-1961)، أحد أوائل الأطباء في مدينة عكا.